



جدد إيمانك بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

التاريخ: 25 صفر 1430 هجري خالد المغربي - فلسطين - القدس - المسجد الأقصى
وفق 20/02/2009م

www.al-msjd-alaqsa.com

نبضات من تبيان الفاتحة - الحلقة الخامسة عشر - اهدنا الصراط المستقيم

المراحل ما بين الهداية والضلال

لقد خلقنا عز وجل وكنا في ضلال مبين (كلكم ضال إلا من هديت)، ثم هدانا عز وجل لما فيه خيرنا، فعرّفنا ما ينفعنا وبين لنا ما يضرنا وعلّمنا كل ما نحتاجه في رحلتنا في هذه الحياة الدنيا، وطلب منا سبحانه وتعالى البقاء في دائرة الهداية وعدم الخروج منها إلى الضلال، ومن رحمة جل في علاه أن جعل ما بين الهداية والضلال مراحل عديدة وكثيرة ومعقدة ينتقل فيها المصير على المعصية من مرحلة لأخرى قبل أن يخرج بالكلية من النور للظلمة ومن الهداية للضلال، وأبقى الله الباب مفتوحاً لكل من يريد العودة من الضلال للهداية ومن الظلمة للنور بالاستغفار والتوبة، فالله غافر الذنب وقابل التوب، وباب التوبة بعرض السماوات والأرض، وهو مفتوح ما لم تغرغر الروح وما لم تشرق الشمس من المغرب. والمراحل التي يمر بها الإنسان في طريقه من الهداية للضلال، عديدة منها (الهداية، الغين، الزيغ، التقلب، الصرف، الإركاس، الخذلان، الشيطان، التزيين، منع الهداية، إمساك النور، تضيق الصدر، الصد، الحجب، الإغفال، الحول بين المرء وقلبه، أخذ الناصية، الختم، الورق، النكته على القلب، الغشاء، الغلاف، الغطاء، الكنان، الران، قسوة القلب، الأغلال، السد، الفسوق، القنوط، اليأس، الإبلاس، الشد على القلب، إماتة القلب، الطبع، الإقفال، الصمم، البكم، العمى، الإضلال، المد والإمداد) وسوف نتناولها بالبحث والتدبر سائلين المولى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا.



الفرق ما بين الختم والطبع

جاء في كتاب الفروق اللغوية للعساكري (أن الطبع أثر يثبت في المطبوع ويلزمه فهو يفيد من معنى الثبات واللزوم ما لا يفيد الختم، ولهذا يقال طبع الدرهم طبعاً وهو الأثر الذي يؤثر فيه فلا يزول عنه، كذلك أيضاً قيل طبع الإنسان لأنه ثابت غير زائل، وقيل طبع فلان على هذا الخلق إذا كان لا يزول عنه، وقال بعضهم: الطبع علامة تدل على كنه الشيء قال وقيل طبع الإنسان لدلالته على حقيقة مزاجه من الحرارة والبرودة قال وطبع الدرهم علامة جوازه). بمعنى أن الختم هو إنغلاق القلب نتيجة المعاصي في حين لا زال طريق العودة للطاعة بالتوبة والإستغفار مفتوحاً، أما الطبع فيدل على أن المعصية أصبحت متأصلة في فاعلها فهي طبعه وهي طبيعته، ولا يستطيع تركها أو العودة عنها، ولتوضيح الصورة أكثر، دعونا نمر على آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن (الطبع والختم).

1. يقول عز وجل (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ* خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (البقرة: 7). في هذه الآية يتناول عز وجل أول طريق الكفر للذين كفروا، وقبل أن يهبطوا إلى الأرض، عندما سأهم عز وجل (أأست بربكم)، وأجابوا بقولهم (بلى)، ولكنهم كانوا كاذبين، فمعنى (إن الذين كفروا) - (إن الذين قالوا بلى كذباً) هؤلاء ختم الله على قلوبهم، ليَعْلَمَ هذه القلوب بأنها قلوب كاذبة ولينبهها بضرورة التوبة والعودة والأوبة لله وإخلاص عمل القلب بالصدق والإستغفار على ما بدر منها من كذب، ولقد تسبب هذا الكذب الذي صدر منهم بالغشاة التي على سمعهم وعلى أبصارهم في الدنيا، والتي تمنع عنهم رؤية الله وعظمة الله من خلال ما يسمعون وما يرونه، فختم القلب وغشاة السمع والبصر جاءت من كذبهم، والختم يدل على أن باب التوبة لا زال مفتوحاً أمامهم، فإن تابوا فعلاً وأحسنوا هذه التوبة يزول الختم، وتسقط الغشاة.



2. يقول عز وجل (فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) (النساء: 155). في هذه الآية يتكلم عز وجل عن اليهود الذين (نقضوا الميثاق الذي بينهم وبين الله في توحيدِهِ) و (كفروا بآيات الله التي تذكرهم بالله وتذكرهم بالميثاق) و (قتلوا الأنبياء الذين جاءوا يذكرهم بضرورة العودة لله والمحافظة على العهد) كما نرى هذا إصراراً على الكفر بالله، فجاء طبع الله قلوبهم بكفرهم، وكلمة (بكفرهم) هنا تعني كل ما تقدم من معاصي وإصرار على هذه المعاصي، والطبع هنا تفيد أنه لم يعد بإمكانهم التوبة والعودة والأوبة بالإستغفار، فهم (لا يؤمنون) - و (إلا قليلاً) تفيد أن قليلاً من اليهود لم يقوموا بهذه الأعمال الموجبة للطبع على القلب.

3. يقول عز وجل (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ) (الأنعام: 46). لاحظ في هذه الآية الكريمة كيف أن الله تكلم عن أخذ السمع والبصر وختم القلب، ثم بعدها تكلم عن تصريف الآيات، وتصريف الآيات إنما هي وسيلة للهداية يهدي الله بها الناس، وهذا يعني أن الختم هنا ليس نهاية المطاف، فلا زال طريق الهداية بالتوبة مفتوح.

4. يقول عز وجل (أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) (الأعراف: 100). في هذه الآية يبدأ عز وجل بقوله (أولم يهد) بمعنى أنهم لم يهتدوا ولم يستفيدوا من تجارب غيرهم للوصول للهداية، ثم جاء بعدها طبع القلب، ليدل على أن عاقبة من أتته الآيات ولم يهتدي بها أن يطبع الله على قلبه فلا يكون بإمكانه العودة بالتوبة.

5. يقول عز وجل (تِلْكَ الْقُرَى نَقِصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ) (الأعراف: 101). وفي هذه الآية أيضاً، جاءت الرسل وجاءت البيئات فلم يؤمنوا بها لأنهم من



البدء كانوا كذبوا على الله، فماذا كانت النتيجة أن طبع الله على قلوبهم والطبع هنا هو نهاية المطاف بالنسبة لهؤلاء، فلا مجال لإستغفار ولا لتوبة ولا لعودة.

6. يقول عز وجل (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ)

(التوبة: 9: 87). ويقول عز وجل (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَاءُ رَضُوا

بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (التوبة: 9: 93). في هاتين

الآيتين يبين لنا عز وجل بأن هؤلاء الذين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف، طبع الله على قلوبهم فلا مجال لعودتهم ولا لتوبتهم.

7. يقول عز وجل (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا

لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ) (يونس: 10: 74). أيضا

هنا يبين لنا عز وجل بأن هؤلاء المعتدين كذبوا على الله وجاءتهم الرسل وجاءتهم البيِّنات، ولكنهم لم يؤمنوا ولم يتوبوا، لذلك طبع الله على قلوبهم فلا مجال لهم لا لتوبة

ولا لعودة.

8. يقول عز وجل (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْعَافِلُونَ) (النحل: 16: 107-108). هنا نرى الغافلين الذين إستحبوا الحياة الدنيا على

الآخرة، طبع الله على قلوبهم فما عاد بإمكانهم أن يتوبوا ويعودوا للهداية.

9. يقول عز وجل في (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ

لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطَلُونَ * كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ) (الروم: 30: 58-59). يتكلم عز وجل في هذه الآية عن الذي لا يعلمون، الذين

جاءهم القرآن الكريم وطلت عليهم آياته ولكنهم ما آمنوا بها ولا إهتدوا به، فطبع

الله على قلوبهم فما عاد بإمكانهم التوبة ولا العودة.



10. يقول عز وجل (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (يس:36: 65). يختم الله على أفواههم حتى تشهد عليهم أيديهم وأرجلهم، فلما تتم الشهادة يزول الختم ويصبح بإمكانهم التكلم بألسنتهم من جديد.

11. يقول عز وجل (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرًا مَّقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) (غافر: 40: 35). يتكلم عز وجل عن المتكبرين المتجبرين الذين يجادلون في آيات الله بلا برهان ولا سلطان، هؤلاء يطبع الله على قلوبهم فلا يعود بإمكانهم التوبة والعودة.

12. يقول عز وجل (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) (الشورى: 42: 24). لاحظ في هذه الآية بعد ختم القلب، كان محو الباطل وإحقاق الحق، وهذه سبل هداية، أي أنه لا زال بإمكان هؤلاء أن يستفيدوا من هذه الهداية، والتوبة إلى الله، والعودة للصراف المستقيم.

13. يقول عز وجل (أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (الجنائفة: 45: 23). هنا أيضاً بعد الضلال يذكر الله عز وجل أنه هو فقط صاحب الهداية، أي لا زال بإمكان هذا العالم التوبة والعودة لله.

14. يقول عز وجل (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) (محمد: 47: 16). وفي هذه الآية يحدثنا عز وجل عن هؤلاء الذين يتبعون أهوائهم ولا يتبعوا أوامر الله ورسوله وهم يعلمون أنها الحق وأنه يجب إتباعها، هؤلاء طبع الله على قلوبهم فما عاد بإمكانهم التوبة والعودة لله وللصراف المستقيم.



15. يقول عز وجل (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ)

(المنافون: 63: 3). من كفر بعد الإيمان وبعد أن عرف الله وعرف أنه الحق، طبع الله على قلبه فما عاد بإمكانه التوبة والعودة لله.

Jerusalem – The old City – Esa'dya – Elmaznah Elhmra - No. 9
 P.O.Box: 51172, Telfax: +97226282173 Cel: +972523623683
 E-Mail: khm@khm2000.com, Web: www.almrkz.org
www.al-msjd-alaqsa.com, www.a-q-s-a.com

القدس – البلدة القديمة – حارة السعدية – طريق المئذنة الحمراء – رقم 9
 ص.ب: 51172، تليفاكس: +9726282173 محمول:
 +972523623683، بريد إلكتروني: khm@khm2000.com
www.almrkz.org , www.al-msjd-alaqsa.com
www.a-q-s-a.com